مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الثالث عشر – حزيران – June / 2025

عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الراشدي

الدكتورة حرية باز [1]
[1] استاذة جامعية وأمينة سر مجلس التعليم العالي في وزارة التربية والتعليم العالي – لبنان

Horriabaz@gmail.com

ملخص: عمر بن عبد العزيز ثامن خلفاء بني أمية وواسطة عقدهم، ارتفع به العدلُ وردُّ المظالم حتى لُقب بخامس الخلفاء الراشدين بعد انتهاء الخلافة الراشدة بـ60 سنة، وطلب العلم على يد الصحابة وكبار التابعين حتى عُدّ واحدا من أكابر علماء عصره. ولد في المدينة المنورة عام 61هـ. نشأ عند أخواله من بيت الخليفة عمر بن الخطاب فتأثر بهم كثيراً. ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على المدينة، وكان شديد الاقبال على العلم ثم أصبح والياً على الحجاز. اتسم عهده بالعدل ورد المظالم، وأعاد عالعمل بمبدأ الشورى، واسترشد بالكتاب والسنة بحكمه، واهتم بالعلوم الشرعية، وأمر بتدوين الحديث الشريف. شغل منصب وزير الخليفة سليمان بن عبد الملك قبل أن يستخلفه على المسلمين. عرف عنه أنه كلن يبحث ليلاً ونهاراً عن الفقراء والمحتاجين في المدينة، ليسد حاجاتهم ويرد كرامتهم، قام باغلاق دور الشراب والمجون، ومن أهم الامور التي قام بها اثناء ولايته توسعة المسجد النبوي الشريف. عندما أصبح خليفة للمسلمين صعد الى المنبر وقال:" إن هذا الامر ما سألته الله قط". عين الولاة واشترط لتعيينهم ثلاثة شروط وهي: أن يعملوا بالحق والعدل بين الناس، وأن لا يظلموا أحدا، وان لا يأخذوا من بيت مال المسلمين ويعطوا إلا من كان له حق.انتقل بالمسلمين من حالة الفقر الى الرخاء الاقتصادي وحقق الوئام الاجتماعي فجلب السلام على جميع فئات المجتمع. من أبرز انجازاته أنه حفظ الامن، وقضى على الفتن، وأعاد توزيع الثروة والمداخيل، وزاد من التنفاق على الفقراءوالمحرومين، وقام بالصلاح الثقافي، وحرص على نشر العلم بين الرعية. توفي مسموما سنة 101هـ بالقرب من معرة النعمان، وقد كان عمره حينها تسع وثلاثون عاماً.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

Abstract: Umar ibn Abd al-Aziz was the eighth Umayyad Caliph and the center of their chain. His justice and redress of injustices elevated him to the title of the fifth Rightly-Guided Caliph, 60 years after the end of the Rightly-Guided Caliphate. He pursued knowledge under the guidance of the companions and the senior followers, becoming one of the greatest scholars of his time. He was born in Medina in 61 AH (61 AH). Umar ibn Abd al-Aziz was raised by his maternal uncles from the household of Caliph Umar ibn al-Khattab, and was greatly influenced by them. Caliph al-Walid ibn Abd al-Malik appointed him governor of Medina. He was deeply devoted to learning, and later became governor of the Hijaz. His reign was characterized by justice and reformation. He restored the principle of Shura (consultation). This eighth Umayyad Caliph was guided by the Qur'an and Sunnah in his governance, focused on Islamic studies, and ordered the recording of the noble hadiths. He served as a minister under Caliph Suleiman ibn Abd al-Malik before he was appointed Caliph**.** He was known for searching day and night for the poor and needy in Medina, meeting their needs and restoring their dignity. He closed down houses of drinking and debauchery, and one of the most important things he did during his reign was expand the Prophet's Mosque. When he became Caliph of the Muslims, he ascended to the pulpit and said, "I have never asked God for this matter." He appointed governors and set three conditions for their appointment: that they act with justice and fairness among people, that they do not oppress anyone, and that they do not take from the public treasury of the Muslims and give only to those who are entitled to it. He moved the Muslims from a state of poverty to economic prosperity and achieved social harmony, bringing peace to all segments of society. Among his most notable achievements were maintaining security, eliminating sedition, redistributing wealth and income, increasing spending on the poor and deprived, promoting cultural reform, and spreading knowledge among the people. He died of poisoning in the year 101 AH near Ma'arrat al-Nu'man, at the age of thirty-nine.

العدد الثالث عشر – حزيران – 2025 / June

تمهيد:

ينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ومن عبد مناف يلتقي مع بني هاشم. كان بنو أمية من المتأخرين في دخول الإسلام. إذ أسلم أبو سفيان بن حرب عند فتح مكة، ولكن بعد

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

إسلامهم أبلوا في خدمة الإسلام بلاءً حسناً، وكان لهم دور كبير في عدد من الأحداث الجسام نذكر منها دورهم في حروب الردة. كما ساهم بنو أمية في نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية.

وقد مهدت لبداية نشأة الدولة الأموية فتنة شديدة قامت بين رابع الخلفاء الراشدين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن ابي سفيان، حين رفض معاوية مبايعة الإمام علي إلا بعد تسليم قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد أسفرت هذه الفتنة عن معارك عنيفة بين الجانبين حتى تم الإتفاق على التحكيم، واتفقوا على أن يكون الحكم لكبار الصحابة، وعندها خرج الخوارج وكفروا الفئتين. وكان من الممكن أن تستمر هذه المسألة طويلاً لولا أن الحسن بن علي الذي بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه تنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان، وكان هذا الأمر يوم عام الجماعة (الصلابي، محمد علي، 2013، صفحة 159) الذي يعد البدء الحقيقي للدولة الأموية التي بدأت بالتحديد حين أخذت البيعة لمعاوية بن ابي سفيان بالكوفة عام 41هـ. واستمر معاوية في الحكم فترة تزيد على العشرين سنة، ثم ورّث الخلافة من بعده إلى إبنه يزيد مما أحدث فتنة أخرى حيث امتنع عن المبايعة عدد من أكابر القوم ومنهم الحسين بن علي، ووقعت عدة حوادث دامت لفترة طويلة. وبعد وفاة يزيد حدثت بلبلة في البيت الأموي وخاصة بعد مبايعة معاوية بن يزيد، وخرجت الخلافة في بقية الأقاليم من يد الأمويين الى عبدالله بن الزبير، حيث يعتبره معظم المؤرخين خليفة المسلمين في تلك الفترة، إلى أن عادت الخلافة الى الأمويين عن طريق مروان بن الحكم، وبقيت في نسله إلى أن سقطت سنة 132هـ، بعد أن دامت حوالي احدى وتسعين عاما (شاكر، محمود، 1991، صفحة 61)، وكان للدولة الأموية الفضل في انتشار رقعة الإسلام. وكان من أشهر الخلفاء عمر بن عبد العزيز الذي يعتبر في التاريخ خامس الخلفاء الراشدين لعدله وسيره على نهجهم.

بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة 40هـ تهيأت الظروف للأمويين كي يبسطوا سلطانهم على الدولة الإسلامية، خاصة أنهم ذوو حسب ونسب. فهم سلالة أمية بن عبد شمس أحد سادات قريش وزعمائها قبل الإسلام. وقد كان سفيان بن حرب والد معاوية أحد أبناء هذا البيت ومن أكبر سادات قريش، وإليه كانت قيادة قوافل التجارة، وإدارة شؤون الحرب، ولم يسلم إلا عند فتح مكة. وقد لقي أبو سفيان من الرسول معاملة كريمة فاتخذه كاتباً للوحي، ولما فتحت مكة في السنة الثامنة من الهجرة أراد أبوسفيان أن يمنع الأذى والمذلة عن قومه، وأنهى العباس ذلك الى الرسول، فأمر منادياً ينادي بمكة: من أغمد سيفه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبو سفيان فهو آمن (حسن، ابراهيم حسن، 1996، صفحة 277)، وبذلك سوّى الرسول بيت ابي سفيان

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وبيت الله، وهو شرف عظيم قلّ من ناله، فليس عجباً إذا ما أسلم الكثير من بني أمية وعملوا على نشر الدين الإسلامي، وأبلوا بلاءً حسناً في حروب الردة. وسار بعضهم الى الشام، فاشتهر أمرهم ومنهم يزيد بن أبي سفيان الذي ولّاه أبو بكر قيادة الجيوش الأربعة التي أرسلها لفتح الشام، وولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دمشق، كما ولي معاوية ما ولّيها من بلاد الشام. فلما مات يزيد أضاف الخليفة عمر الى معاوية ما كان ليزيد. ولما بويع عثمان بن عفان ولّي معاوية الشام كلّها ثم استقل بها بعد مقتل عثمان.

وبعد أن بويع علي بن أبي طالب امتنع معاوية عن مبايعته، ثم بايعه أهل الشام مطالبينه بدم الخليفة عثمان ومحاربة الإمام علي، الأمر الذي أحدث الخلاف بين أهل العراق وأهل الشام. وبعد مقتل الإمام علي بايع أهل العراق الحسن بن علي، وبايع أهل الشام معاوية. ثم سار الحسن مع جنود العراق، وسارمعاوية مع أهل الشام، فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح، فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الملك إلى معاوية، على أن يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين. وبذلك أصبح معاوية صاحب السلطان المطلق. وكان ذلك في ربيع الأول من سنة 41هـ. ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب فيها خطبة بليغة بعد أن بايعه الناس، وسمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع الجميع فيه على أمير واحد بعد الفرقة (المغلوث، سامي بن عبدالله بن احمد، 2011، صفحة 11).

عمر بن عبد العزيز

يعد عمر بن عبد العزيز من أحسن خلفاء بني أمية سيرة، وأنقاهم سريرة، وأنزههم يداً، وأعفهم لساناً، وأسبقهم الى نشر الإسلام، وإعلاء كلمة الدين. وقد أصبح حكمه غرّةً في جبين ذلك العصر، الذي تلطخ بالاستبداد وسفك الدماء. حتى لقد شبه المسلمون خلافته بخلافة جده عمر بن الخطاب في عدله وزهده.

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الإمام الحافظ، العلامة المجتهد الزاهد العابد، السيد أمير المؤمنين أبو حفص القرشي الأموي، الخليفة الزاهد الراشد (الذهبي، الامام شمس الدين، 1985، صفحة 144) خامس الخلفاء الراشدين (السيوطي، 1952، صفحة 228) حسن الأخلاق والخلق، كامل العقل، جيد السياسة، حريصاً على

العدل، وافر العلم،فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، ناطقاً بالحق (الصلابي،محمد علي، 2013، صفحة 89) .

ولد عمر بن عبدالعزيز في مدينة حلوان في مصر، وأبوه أمير عليها سنة إحدى وستين وقيل ثلاث وستين هـ (السيوطي، 1952، صفحة 288). أمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب،ابنة الفتاة الهلالية التي سمع عنها الامير عمر بن الخطاب حوارها مع أمها أثناء جولته التفقدية للرعية في المدينة المورة، ورفضت مزج الماء باللبن حتى يزداد، وقالت مقولتها الشهيرة رداً على والدتها" إذا كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا".تربى عمر عند أخواله آل الخطاب ، وهو أشبه الناس بهم، وأكثرهم تأثراً بأخلاقهم وطباعهم. بويع بالخلافة بعهد من سليمان، في صفر سنة 99هـ، فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر، ملأ فيه الأرض عدلاً وردّ المظالم، وسنّ السنن الحسنة (السيوطي، 1952، صفحة 231).

في ربيع الأول من عام 87هـ، ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة المنورة. فبقي فيها سبع سنين كان فيها مثالاً يحتذى في الورع والتقوى. ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 96هـ، وبذلك صار والياً على الحجاز كلها (الصلابي،محمد علي، 2013، صفحة 109). واشترط عمر لتوليه الإمارة ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يعمل في الناس في الحق والعدل، ولا يجور على أحد.

الشرط الثاني:أن يسمح له بالحج في أول سنة لأنه كان في ذلك الوقت لم يحج.

الشرط الثالث: أن يسمح له بالعطاء وأن يخرجه للناس في المدينة. فوافق الوليد على هذه الشروط وباشر عمر بن عبد العزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحاً شديداً (ابن الجوزي، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن القرشي، 1984، الصفحات 41-42).

وكان من أبرز الأعمال التي قام بها عمر تكوينه لمجلس الشورى بالمدينة. فقد اختار عند وصوله الى المدينة عشرة من فقهائها دعاهم وكون منهم مجلس شورى للولاية، وحدد لهم مهام مجلسهم هذا وهو معاونة الوالي على الحق، والتنبيه الى المظالم والتعديات، والحيلولة دون الوالي ودون الإنفراد بالقرار. وقال لهم" اني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، اني لا أريد أن أقطع أمراً إلّا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلّا أبلغنني" (الصلابي،محمد علي، 2013، صفحة 110) وكان شديد الحرص على ملازمة مجالس العلم.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

منهج عمر في إدارة الدولة وإصلاحاته

صعد عمر بن عبد العزيز إلى المنبر وقال في أول لقاء مع الأمة بعد استخلافه:" أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم. فصاح الناس صيحةً واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فولّ أمرنا باليمن والبركة. وهنا شعر أنه لا مفر من تحمل مسؤولية الخلافة. فأضاف قائلاً يحدد منهجه وطريقته في سياسة الأمة المسلمة (فيصل، ماجدة، 1987، صفحة 102) : أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، الا ان ما حل الله حلال الى يوم القيامة ، فألا أني لست بقاضٍ، ولكني منفذ، ألا وأني لست بمبتدع ولكني متبع، ألا انه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله، ألا اني لست بخيركم، ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً. أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلا فلا يقربنا: يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه، ولا يغتابنّ عندنا الرعية ولا يعترض فيما لا يعنيه. أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله عزّ وجل خلف، واعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه، واصلحوا سرائركم، يصلح الله الكريم علانيتكم، واكثروا من ذكر الموت، واحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات... وان هذه الأمة لم تختلف في ربها عزّ وجل، ولافي نبيها(صلعم)، ولا في كتابها. وانما اختلفوا في الدينار والدرهم، واني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع احداً حقاً. ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. وان من حولكم من الأمصار والمدن فإن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا وليكم، وإن هم نقموا فلست لكم بوال (ابن الحكم، ابو محمد المصري، 1967، الصفحات 35-36)، ثم نزل. وهكذا عقدت الخلافة له في ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين هـ (ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي، 1990، صفحة 657).

وتظهر من خلال هذه الخطبة السياسة التي قرر عمر بن عبد العزيز اتباعها في الحكم وتتلخص بالتالي:

- التزامه بالكتاب والسنّة ورفضه للبدعة والآراء المحدثة
- حذر الناس من عواقب الدنيا لو أساؤوا فيها

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

- قطع عهداً على نفسه بأن لا يعطي حداً باطلاً، ولا يمنع الحق عن أحد. وقد أعطى الناس حق إطاعته طالما هو يطيع الله، وأعطاهم حق عدم إطاعته إذا ما أعصى الله سبحانه وتعالى. كما حدد لمن يريد أن يعمل معه أن يرفع إليه حاجة من لا يستطيع الوصول إليه، وأن يعينه على الخير ما استطاع. وأن يرشده برشده ويهديه إلى ما هو خير اظلمة وخير الدين. وأن لا يغتاب أحداً، وأن لا يتدخل في شؤون الحكم.

ومن أهم ما ميز منهج عمر في سياسته، حرصه على العمل بالكتاب والسنّة ونشر العلم والدين بين رعيته، ومنطلقه في ذلك فهمه لمهمة الخلافة، فهي حفظ الدين وسياسة الدنيا به (البغدادي، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، 1978، صفحة 5). فهو يرى أن من أعم واجباته تعريف رعيته بمبادئ دينهم وحملهم على العمل بها، فورد عنه انه قال في إحدى خطبه: ان للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لا يعمل بها لم يستكمل الإيمان، فلأن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص (ابن الحكم، ابو محمد المصري، 1967، صفحة 60). وقال أيضاً: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنّة يعيشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان من الله يسيراً (الصلابي،محمد علي، 2013، صفحة 124).

ولهذا بادر عمر في تنفيذ هذه المسؤولية المهمة. فبعث العلماء في تعليم الناس إلى مختلف أقاليم الدولة، وأمر عماله على الأقاليم بحثّ العلماء على نشر العلم. وقد جاء في كتابه الذي بعثه الى عماله" ومر أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله من ذلك، وليتحدثوا به في مجالسهم". وما كتب به الى بعض عماله" أما بعد فأمر الله أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنّة كانت قد أميتت" (ابن الحكم، ابو محمد المصري، 1967، صفحة 76).

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بتفعيل مبدأ الشورى في خلافته، ومن أقواله في الشورى : أن الشورى باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معها رأي، ولا يفقد معها حزم (الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، لا عام للطباعة، صفحة 188). وكان يستشير العلماء ويطلب نصحهم في كثير من الأمور أمثال تسالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرطبي، ورجاء بن حيوة وغيرهم فقال: اني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا علي. كما كان يستشير ذوي العقول الراجحة من الرجال. وحرص على إصلاح بطانيته لما تولى الخلافة فقرب الى مجلس العلماء وأهل الصلاح، وكان يوصيهم على تقويمه، وأقصى عنه أهل المصالح الدنيوية والمنافع الخاصة.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وكان الخليفة عمر يرى ان المسؤولية والسلطة هي القيام بحقوق الناس والخضوع لشروط تبعيتهم، وتحقيق مصلحتهم المشروعة. فالخليفة أجير عند الأمة وعليه أن ينفذ مطالبها العادلة حسب شروط البيعة (الشيخ، عبد الستار، 1996، صفحة 223). وتنفيذاً لما أراده عمر من رد المظالم مهما كان صغيراً أو كبيراً بدأ بنفسه، وروي عن ابن سعد انه لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم قال" إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي (ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، 1928، صفحة 341).

وإذا كان عمر قد بدأ بنفسه في رد المظالم فقد ثنى في ذلك بأهل بيته وبني عمومته وبإخوته من افراد البيت الأموي. فلقد أدرك أن الأمويين أدخلوا الكثير من مظاهر السلطان التي لم تكن موجودة في عهد النبي أو عهد الخلفاء الراشدين، فأنفقوا الكثير من المال من أجل الظهور بمظاهر العظمة. وقد شهدت الأيام الأولى من خلافته تجريداً واسع النطاق لكثير من أموال وأملاك بني أمية وردّها الى بيت المال كي يأخذ العدل مجراه وتعود أموال المسلمين الى المسلمين. ومن الدلالة على سمة أخلاقه قوله " انثروا القمح على رؤوس الجبال لكي لا يقال جاع طير في بلاد المسلمين".

لم يقف عمر عند حد استرداد الأموال من بني أمية وردها الى بيت المال. بل يخطو خطوة أخرى ويعلن لأبناء الأمة الإسلامية أن من له حق على أمير أو جماعة من بني أمية ولحقته منه مظلمة، فليتقدم بالبينة كي يرد اليه حقه. وقد تقدم عدد من الناس بظلامتهم وبيناتهم وراح عمر يردها واحدة بعد الأخرى من أراضٍ ومزارع وأموال وممتلكات. كما أنه رفع المظالم عن الموالي وأهل الذمة. كما عمد الى عزل جميع الولاة والحكام الظالمين من مناصبهم ووضع مكانهم من كان معروفاً بصدقه وعدله وأمانته ونزاهته إذ كان يبحث عن أصلح الناس ديناً وأمانة.

أدخل عمر بن عبد العزيز كثيراً من الإصلاحات التي كانت تصب في مصلحة الإسلام أكثر منها في مصلحة بيت المال. فقد رفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة، وخفف الضرائب عن عامة المسلمين وبخاصة الموالي من الفرس، الأمر الذي أدى الى ازدياد إقبال الناس على الإسلام. كما أدى الى نقص كبير في إيرادات بيت المال فرأى بعض الولاة وخاصة عندما نقصت جزية الرؤوس على أثر ازدياد دخول الناس في الإسلام أن يرفع الجزية عمن أسلم، فأبى عمر أن يجيبهم الى طلبهم، وذلك حرصاً منه على إعلاء كلمة الدين. ويدل على ذلك جوابه الى كتاب واليه على مصر وقد شكا اليه أن الإسلام أضر بالجزية واستأذنه أن يفرضها على من أسلم. فكتب إليه عمر كتابه الذي يقول فيه" فضع الجزية عمن أسلم، قبح الله رأيك، فإنما الله بعث محمد(صلعم) هادياً ولم يبعثه جابياً، ولعمري لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم في الإسلام عن يديه" (حسن، ابراهيم حسن، 1996، صفحة 268).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أحب عمر أهل بيت رسول الله، وأعاد لهم حقوقهم ورد مظالمهم. ومن أقواله المشهورة لفاطمة ابنة الإمام علي بن أبي طالب " يا بنت علي، والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إليي منكم، ولأنتم أحب إليي من أهل بيتي".

إنّ مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في دولة عمر بن عبد العزيز. ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها. فقد حرص على تنفيذ قاعدة حرية الاعتقاد في المجتمع. وكانت سياسته حيال النصارى واليهود تلتزم بالوفاء بالعهود والمواثيق وإقامة العدل معهم ورفع الظلم وعدم التضييق عليهم في معتقدهم ودينهم انطلاقاً من قوله تعالى}لا إكراه في الدين {سورة البقرة–256/. كما أعلن استئناف الحرية السياسية التي منحها الإسلام للمسلمين، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، حتى وإن كان حاكماً أو والياً. فقد أعلن من أول يوم من أيام حكمه الحرية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منكراً على الناس واقعهم المظلم، وأن الإسلام لا يرضى السكوت عن الظلم. ومما يدل على إعطاء عمر للناس الحرية السياسية، أن أول إجراء اتخذه عقب إعلان العهد له بالخلافةتنازله في الخلافة وطلب الناس أن يختاروا خليفة. كما عمل على تحقيق وتدعيم الحرية الشخصية لأفراد الأمة الإسلامية في الهجرة والتجارة.

الفتوحات في عهد عمر بن عبد العزيز

عندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كان من أول أعماله إيقاف التوسع في المناطق النائية في أطراف الدولة، ومحاولة سحب القوات التي عني الخليفة سليمان بحشدها وإنفاذها بقيادة أخيه مسلمة لفتح القسطنطينية، وظلت تحاصرها مدة سنتين لاقت معها مصاعب كثيرة دون أن تفلح في تحقيق هدفها. فلما ولي عمر كتب الى مسلمة يدعوه الى العودة عن حصار القسطنطينية. أما في الأندلس فقد ولّى السمح بن مالك الخولاني وعهد إليه بإخلاء الأندلس من الإسلام إشفاقاً عليهم إذ خشي تغلب العدو عليهم لانقطاعهم من وراء البحر من المسلمين. وفي المشرق كتب الى والي خراسان يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين فأبوا فكتب لهم "اللهم اني قد قضيت الذي عليّ فلا تغز بالمسلمين فحسبهم الذي فتح الله عليهم" (الصلابي،محمد علي، 2013، صفحة 298).

أما في بلاد السند فقد دعاهم عمر الى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فأسلم جيشه والملوك.

الاصلاحات المالية في عهد عمر

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

سعى عمر بن عبد العزيز لإعادة توزيع الدخل والثروة بالشكل العادل، الذي يرضي الله ويحقق قيم الحق والعدل والظلم التي وضعها نصب عينيه ، لقد انتقد سياسة سليمان بن عبد الملك التوزيعية فقال له " لقد رأيتك زدت أهل الغنى وتركت أهل الفقر بفقرهم" (ابن الحكم، ابو محمد المصري، 1967، صفحة 135)، فقد أدرك أن التفاوت الاجتماعي هو نتيجة لسوء توزيع الثروة فرسم سياسته الجديدة لإنصاف الفقراء والمظلومين. ولقد استخدم للوصول الى هذا الهدف عدة وسائل منها منع الأمراء وكبار رجال الدولة من الاستئثار بثروة الأمة، ومصادرة الأملاك المغتصبة ظلماً وإعادتها الى أصحابها أو الى بيت المال، وزيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها، وتأمين الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال. وقد سعى لتحقيق أهدافه الاقتصادية بوسائل منها توفير المناخ المناسب للتنمية عن طريق رد الحقوق لأصحابها، وفتح طريق الحرية الاقتصادية، والسماح لأصحاب الأموال بالتجارة ضمن قيود محددة. كما اتبع خطوات ترمي الى زيادة الانتاج الزراعي للأمة، عن طريق منع بيع الأراضي الخراجية، والعناية بالمزارعين، وتخفيف الضرائب عنهم، وإعادة استصلاح الأراضي البور.

القضاء

كان عمر بن عبد العزيز يدقق في اختيار القضاة. وقد اشترط في القاضي خمسة شروط وهي: العلم والحلم والفقه والاستشارة والقوة في الحق (شقير، محمد، 2003، صفحة 285). وقد أوصى القاضي بأن يتبين الحق حتى يحكم وإن لم يظهر فلا يترك القضية وإنما يرفعها الى من هو فوقه لينظرها (شقير، محمد، 2003، صفحة 487).

كانت آخر خطبة خطبها فقال فيها" أيها الناس، انكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدًى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، ألا واعلموا إنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع نافذاً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان... فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه، وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، فاستغفر الله وأتوب إليه، وما منكم من أحد تبلغنا حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا ووددت أنه سداي ولحمتي، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء، وأيم الله لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنّة عادلة، يدل

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فيها على طاعته، وينهي عن معصيته، ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله، ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات" (الطبري، ابي جعفر، 1987، صفحة 475).

اختلفت الروايات عن سبب مرضه وموته. فمنهم من ذكر أن سبب مرضه هو الخوف من الله والاهتمام بأمر الناس. وآخرون قالوا بأنه سقي السم من بني أمية. وقد أوصى ولي عهدع يزيد بقوله" عليك بتقوى الله والرعية الرعية، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير (شقير، محمد، 2003، صفحة 47).

لقد أشرف عمر بن عبد العزيز بنفسه على ما يتم في دولته من أعمال صغيرة كانت أو كبيرة. وكان يتابع عماله في أقاليمهم. وساعده على ذلك أجهزة الدولة كالبريد وجهاز الاستخبارات الكبير الممتد في أطراف الدولة. وعلى الرغم من عنايته في اختيار الولاة إلا أن هذا لم يمنعه من العمل على متابعة أمر الرعية وتصريف شؤون الدولة. وفي أول خلافته عمد عمر الى عزل الحكام والولاة الظالمين من بني أمية، واهتم بمبدأ الشورى والمناظرة، وتمليك الاراضي الميتة لمن يزرعها، وخرج عن قاعدة توريث الولاية السائدة، واستشار القريب والبعيد في أمصار المسلمين.

هذا وقد مارس التخطيط في إدارته للدولة وشمل تخطيطه كافة المجالات في أمور السياسة والحكم والقضاء والاقتصاد. كما جعل التنظيم الإداري من أهم أولوياته. إضافة الى سعيه لتحقيق السلامة من الفساد الإداري بالحرص على سبل الوقاية منه وسد الطريق أمام الخيانة والكذب والرشوة وقبول الهدايا والظلم للناس واحتجاب الولاة والأمراء ومعرفة أحوالهم.

توفي عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة 101هـ (حسن، ابراهيم حسن، 1996، صفحة 269) بعد خلافة دامت سنتين وخمسة أشهر وهو ابن تسع وثلاثين سنة.

مات الإمام الذي ملأ الارض عدلاً، وكان عهده رغم قصر مدته متنفس للمسلمين الذين عانوا من الظلم والاضطهاد، حيث تمكن بحنكته وورعه من رد مظالم الناس والعدل بينهم، فأسقط الجزية عن أهل الذمة الذين دخلوا في الإسلام، وكان الأمويون يجبرونهم على أدائها.

ويروى أنه عند دفنه بكى أحد الرهبان، فقيل له ما يبكيك؟ فقال " أبكي على نور كان في الأرض فطفئ، وكانت الدنيا تحت قدميه، فزهد فيها فصار مثل الراهب". وقد جاء في تفسير القرطبي أن ابنه اشترى خاتماً بألف درهم، فكتب إليه والده الخليفة عمر يأمره ببيع الخاتم وإطعام ألف جائع، وحضّه على شراء خاتم جديد بدرهم واحد، وأمره أن يكتب عليه "رحم الله إمرءاً عرف قدر نفسه"(فتاوي الشيخ علي بن عبد الله النمي، عن ابي نعيم في الحلية).

المصادر

[1] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن القرشي. (1984). سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

[2] ابن الحكم، أبو محمد المصري. (1967). سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه. بيروت: دار العلم للملايين.

[3] ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري. (1928). الطبقات الكبير (الجزء الخامس). ليدن: مطبعة ليدن.

[4] ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي. (1990). البداية والنهاية (الجزء الثاني عشر). بيروت: مكتبة المعارف.

[5] الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي. (1952). تاريخ الخلفاء. مصر: مطبعة السعادة.

[6] البغدادي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري. (1978). الأحكام السلطانية والولايات الدينية. بيروت: دار الكتب العلمية.

[7] الذهبي، الإمام شمس الدين. (1985). سير أعلام النبلاء. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

[8] الشيخ، عبد الستار. (1996). عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين. دمشق: دار العلم.

[9] الصلابي، محمد علي. (2013). الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار (الجزء الأول). بيروت: دار المعرفة.

[10] الصلابي، محمد علي. (2013). الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار (الجزء الثاني). بيروت: دار المعرفة.

[11] الطبري، أبي جعفر. (1987). تاريخ الأمم والملوك (الطبعة الأولى، الجزء السابع). بيروت: دار الفكر.

[12] الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. (دون سنة). الأحكام السلطانية. مصر: مطبعة الوطن.

[13] المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد. (2011). أطلس تاريخ الدولة الأموية. الرياض: مكتبة العبيكان.

[14] حسن، إبراهيم حسن. (1996). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (الجزء الأول). بيروت: دار الجيل.

[15] شاكر، محمود. (1991). التاريخ الإسلامي (الطبعة السابعة، الجزء الرابع). بيروت: المكتب الإسلامي.

[16] شقير، محمد. (2003). فقه عمر بن عبد العزيز (الطبعة الأولى، الجزء الأول). الرياض: دار الرشد.

[17] شقير، محمد. (2003). فقه عمر بن عبد العزيز (الطبعة الأولى، الجزء الثاني). الرياض: دار الرشد.

[18] فيصل، ماجدة. (1987). عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (الطبعة الأولى). مكة: مكتبة الطالب الجامعي.